# زهرة فى مستهل الربيع

للأستاذ محمود الخفيف

قد بعثتُ القديم من أحلامى ... إذ تبسَّمْتِ للربيع الجديد
يا ابنةَ الصبح قد شكلتُ غرامى ... وتأسَّيْتُ من زمان بعيد
مالهذا الندَى يزيد أوامى ... ويُثير الجوى بقلبى الشهيد!

فيم أحييْت بابتسامك وجدى ... ياعروس الربيع رفقاً بقلبى
كيف أصبو إلى جمالك وحدى ... أىُّ حُسن يخالج اليوم لبى ؟
يتساوى القتاد والزهر عندى ... وتناسىَّ ماضى العيشَ حسبى

يوجعُ النفس أن ترى اليومَ حُسناً
كان بالأمس من بهيج رواها
تنظرُ العين لا ترى فيك معنًى ... من معانى الجمال إلا شجاها
أغنيات المنى تألفن لحناً ... صارَ للنفس من صميم أساها!

صوّرَتْ لى كآبة العيش حولى ... عند لقياكِ كلّ معنًى كئيبِ
ذائب الظل ليسَ عندى بظلّ ... هو سَحُّ الجفون عند النحيب
وكأنّ الزمان مسكٌ مثلى ... بالضنَى كفهُ وبالتعذيب

إنّ هذا النماء يوحى لنفسى ... صوراً هُن من نسيج الفناء
سوفَ يُطوَى بهاؤه حين يمسى ... يومكِ الضاحكُ المديد الضياء
كلما زاد قلّ رونقُ أمسى ... يالموتٍ رأيته فى النماء!

هكذا يا ابنة الربيع حياتى ... غير أنى معذَّبٌ بشعورى
حائر النفس بين ماض وآت ... غاب فى لجّةِ الزمان حبورى

سوفَ تطوى يد المنية عمرى ... بعد أن يُطفىء الزمان شبابى
للوَنى والنحولِ فى الدهر سِرْى
لا ترى العينُ غيرَ لمع السراب
فسواء صبرتُ أم رثّ صبرى ... وسواء مسرّتى واكتئابى

فيكِ رمز لكل ما هو فانٍ ... عابر لن يقيم إلا قليلا
يا عروس الربيع كم من معانٍ ... فيكِ زادت غليل قلبى غليلا

يا لقلبى ما طارقات زمان ... لم تذَر لى فى الكون معنًى جميلا
أنتِ كالعيش فتنة وغرور ... وأمانىٌّ كلها للنَّفاد
أنتِ كالحب نشوة وفتور ... ورُؤى تمّحى بلا ميعاد
لمع كلهن مَيْن وزور ... الليالى لهنّ بالمرصاد

خيلت لى عيناى صورة أنس ... برهة ثم خيلت لى ثبورا
ورأى القلب فيكِ موحش رَمْسٍ
يضحك الزهر فوقه منثورا
لسواء زينت ساحة عرس ... يا ابنة الصبح أم كسوت القبورا

مؤنكِ البا كر المحتم يوحى ... لفؤادى الهموم من كل جنس
كم صبى كالزهر غض صبوح ... كالرياحين عوده طيب غرس
ناعم كالملاك رقة روح ... موته يوجعُ القلوب ويؤسى!

كم فتىً فى ضحوة العمر ولى ... مثلما متّ ، نابهٍ عبقرىّ
ومحيًا من ضاحك الزهر أحلى ... قد محاه الفناء قبل الذُّوىّ!

كنت ألقاك فى الربيع فألقى ... ألف معنى فى سحر ذاك الشباب
يمعن الحس عند مرآك عمقاً ... فأرى الروح من وراء حجاب
وكأنى والقلب يسجد خفقاً ... هيكل ليس ينتمى للتراب!

ينجلى فيكِ والزمان نضير ... ومعانى الربيع تملأ نفسى
أمل ضاحك وعيش غرير ... وطيوف تثير كامن حسى
كان لى منك فى الصباح بشير ... وأنيس إن غاب طائر أنسى

يا ابنة الصبح كم رأى الصبح منى ... نظرات المتيم المسحور
من بنات الهديل أقبس لحنى ... حبذا السجع فى صفاء البكور
وسطور الرياض تبهر عينى ... فأملى بوشيهن سطورى

كان هذا الزمان حلماً تقضى ... أى حلم خياله لن يزولا
أى حسن يبقى على الأرض غضاً ... آية الحسن أنه لن يطولا
كم قطعت الرياض طولا وعرضاً ... فرأيت الفناء ثم الذبولا

يا ابنة الصبح قد ذكرت زمانى ... حين أومأت فى رواء بديع
كل شىء بعثت إلا الأمانى ... أفلا كنت مثل هذا الربيع ؟

الخفيف